صوت المرأة المسلمة

العدد : ١٨٧ الموافق في شوال ١٤١٧ هجري ٣ / ١٩٩٧ ميلادي

نافذة على العالم : تمهيد سريع	بقلم : هادية العطار

العالم قد تقاربت بثورة المواصلات والاتصالات أطرافُه ، وزالت - أو أوشكت تزول - الحواجزُ بين قاراته ، وأقطاره ، ومجتمعاته ، وفنونه ، وأخلاقه ، وعاداته ؛ بل لقد أوشك يكون في بعض الأمور من خلال القنوات الفضائية والإنترنيت وغيرها بلداً واحداً

وتعاظم التأثيرُ المتبادل وتسارع ، فما تكاد تنشأ صَرْعةٌ من الصرعات على سبيل المثال في الولايات المتحدة أو أوروبا إلا وتجد أصداءها وآثارها في الوقت ذاته ، أو بعده بقليل في أنحاء أخرى من العالم

وما يزال الغرب اليوم كما كان أمس مصدر التأثير الأكبر في سواه من الشعوب والأوطان ، تنطلق منه الأفكار والمذاهب وأنماط الحياة والسلوك المختلفة بسرعة الضوء في الدنيا ، ويصل منه إلى معظم سكان الأرض الخيرُ والشر ، والإيجابيّ والسلبيّ ، والسلبيّ هو أكثر ما يصل وأسرع ما يصل

هذا التقدم التكنولوجي المذهل ، وهذه الثورة المذهلة في المواصلات والاتصالات ووسائل الإعلام ، وما نتج عن ذلك وغيره من تطورات وتغيرات على الصعيد الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والخلقي والفكري... الخ قد نشأ عنه كثير من الظواهر والمشكلات الاجتماعية العالمية المتشابهة ، على اختلافٍ في كَمِّ التشابه ودرجته ، وبعض أسبابه ونتائجه ، وفي تقويم الظواهر والحكم عليها ، ومعالجة المشكلات وطرح حلول لها ، مما يرتبط ارتباطاً متفاوتاً بعقائد الأمم والشعوب وقيمها ، وتاريخها وتقاليدها ، وخصوصياتها الأخرى

وقد عُني علماء الاجتماع وغيرهم ، كلٌّ من زاويته وفي حدود اختصاصه ، بدراسة هذه الظواهر والمشكلات دراسة علميّة منهجية ، ولا يزالون يوالون جهودهم ويقدمونها في المؤتمرات العلمية ، والمحاضرات الجامعية ، والمجلات الاختصاصية ، أو ينشرونها في كتب تأخذ طريقها إلى الخاصة أو العامة من الناس ، والبحثُ العلمي الدائب يمضي قدماً ، لا يتوقف أبداً ولا ينتهي ، في هذا العالم الحافل بالأسرار ، المتحرك المتغير الذي يتفجر بالجديد بعد الجديد

وسأُطلُّ بقرائي وقارئاتي - إن شاء الله تعالى - من « نافذة على العالم » على بعض الدراسات الاجتماعية الغربية ، التي تهمّ المرأة المسلمة والأسرة المسلمة في الغرب ، وفي العالم الإسلامي أيضاً ، فنحن ، وملايين المسلمين ، نعيش في الغرب ، ونتأثر على درجات متفاوتة بظواهره ، ونعاني بعض

المعاناة من مشاكله ، ونحتاج أن نفهم الأمور فهماً علمياً موضوعياً ، لنكون أقدر على الاستفادة مما يستفاد منه ، والتوقي مما يُتوقى منه ، وتلمّس الحلول المناسبة لنا ، عندما لا تناسبنا الحلول التي يطرحها أو يأخذ بها غيرنا...

والعالم الإسلامي ينتفع أيضاً بهذه الدراسات ، لتشابه كثير من الظواهر والمشكلات في العالم ، ولأن جل ما يشهده العالم الإسلامي أو يعانيه ، إنما وفد عليه من قَبْلُ من الغرب ، ولا يزال يفد عليه من الغرب ، ومعرفةُ المشكلات في منبتها وأصلها ، ودواعيها وظروفها ، ينير الأمور ، ويعين على حسن الفهم والتفكير والتصرف...

أما الجهل والتخبط الأعمى فجدير بأن يضيع أصحابه ، ويضيع المسلمين بهم ، ويضيع الرسالة التي يحملونها إلى الناس

وألفت النظر هنا إلى أمور :

❋ علم الاجتماع وأمثاله ، علوم وصفية ، تحاول أن تصور الواقع والحقائق والأشياء كما هي ؛ وليست علوماً تقويمية تحكم على الأمور بمقياس دين أو خلق أو خير أو شر أو قيم أخرى

❋ الحلول التي يضعها الغربيون لمشكلاتهم منها ما هو سديد مفيد نقبله ونستفيد منه و « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها » ومنها ما هو خطأ وضرر ، أو شيء يتنافى مع عقيدتنا وشريعتنا وقيمنا ، نرفضه ولا نقبله ولا نستسلم له

وهذا يجعلنا أمام واجبين كبيرين :

١- أن نكون قادرين على حكم إسلامي تقويمي بصير على مختلف الظواهر ، وحلول المشاكل ، وغير ذلك من الأمور

٢- أن نكون قادرين على اكتشاف أو على إيجاد الحلول الإسلامية العملية الواقعية في أمكنتنا وظروفنا القائمة ، مع النظر إلى المستقبل ، والتخطيط والسعى لما هو أفضل وأكمل

وهذا كله يفتقر إلى علماء كبار ، ومفكرين كبار ، رواد كبار ، في علوم الشريعة ، وفي سائر العلوم الإنسانية والكونية ، وإن كان ما لا يدرك كله لا يترك جُلُّهُ ، وكان علينا أن نحسن الاستفادة من إمكاناتنا الموجودة ، مع السعي لتوفير الشروط الضرورية لتنمية هذه الإمكانات ، والصعود بها إلى مستوى حاجة الإسلام والمسلمين ، في هذه البلاد ، وفي هذا العالم والعصر ، وهو فرض من أهم فروض الكفاية... فرض يأثم المسلمون جميعاً إن قصروا فيه...

الذي أود أن أقوله أخيراً في هذا التمهيد السريع : إن عملي في الحلقات القادمة سيكون بسيطاً محدوداً. سأعرض للقراء والقارئات بعض الظواهر والمشكلات الاجتماعية الغربية المتصلة بالمرأة والأسرة ، من خلال بحوث كبار العلماء الغربيين المختصين ؛ أما المراحل الأخرى والواجبات الأخرى التي ذكرتها ، فينبغي أن يشترك معنا فيها أصحاب العلم والفكر من الإخوة والأخوات في الغرب وفي العالم الإسلامي

وسأحرص فيما أقدمه - إن شاء الله - على الرجوع إلى أوثق المصادر ، وأحدث الدراسات والإحصائيات

وبالله وحده التوفيق

وإلى اللقاء في العدد القادم - إن شاء الله -